وفي قوله تعالى والى الله اي الذي له الاحاطة بكل شي المصير دليل على
المعاد وانه لابد من مصير الكل اليه بعد الفنا والرؤية في قوله تعالى الم تر
بصرية ان الله اي ذي الجلال والجمال يزجي سحابا اي يسوقه برفق بعد
ان انشاه من العدم تارة من السفل وتارة من العلو ضعيفا رقيقا متفرقا
قال ابو حيان وهو اسم جنس واحده سحابة والمعنى يسوق سحابة الى
سحابة وهو معنى قوله تعالى ثم يؤلف بينه اي بين اجزايه بعد ان كان
قطعا في جهات مختلفة فيجعل القطع المتفرقة قطعة واحدة ثم يجعله
ركاما في غاية العظمة متراكما بعضه على بعض بعد ان كان في غاية الرقة
فترى اي في ذلك الحالة المستمرة الودق اي المطر يخرج من خلاله
اي من فتوحه التي حدثت بالتراكم وانعصار بعضه من بعض فان قيل
بين هنا انما يدخل على مثنى فما فوقه فلم دخلت هنا على مفرد اجيب
بان المراد بالسحاب الجنس فعاد الضمير على حكمه او على حذف مضاف اي بين
اجزايه كما مر وبين قطعه فان كل قطعة سحابة وقرا السوسي فترى في الوصل
بالامالة بخلاف عنه والباقون بالفتح واما في الوقف فابو عمرو وحمزة
والكسائي بالامالة محضة وورش بين بين والباقون بالفتح وينزل من السما
اي من الغمام وكل ما علا فهو سما من جبال فيها اي في السما وهي السحاب
الذي صار بعد تراكمه كالجبال وقوله تعالى من برد بيان للجبال والمفعول
محذوف اي ينزل مبتدا من السما من جبال فيها من برد بردا فمن الاولى
لابتدا الغاية باتفاق والثانية للتبعيض والثالثة للبيان ويجوز
ان تكون الثانية لابتدا الغاية ايضا ومجرورها بدل من الاولى باعادة العامل
والتقدير وينزل من جبال اي من جبال فيها فهو بدل اشتمال والاخرة
للتبعيض واقع موقع المفعول قال فان قيل ما معنى من جبال فيها من
برد بان فيه معنيين اجيب احدهما ان يخلق الله في السما جبال برد كما خلق
في الارض جبال حجر وليس في العقل ما يمنعه الثاني ان تريد الكثرة
بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب وقرا ابن كثير وابو عمرو
بسكون النون واخفايها عند الزاي وتخفيف الزاي والباقون بفتح النون
وتشديد الزاي ثم بين تعالى ان ذلك باختياره وارادته بقوله تعالى
فيصيب به اي بكل من البرد والمطر على وجه النقمة او الرحمة من يشا
اي من الناس وغيرهم ويصرفه عن من يشا صرفه عنه فايدة كن مقطوعة
من من في الرسم ثم نبه تعالى على ما هو غاية في العجب في ذلك مما في الماء من النور
الذي بما نزل منه صاعقة فاحرقت ما لا يحرق النار بقوله تعالى يكاد اي
يقرب سنا برقه وهو اضطراب النور في خلاله يذهب اي هو ملتبسا
بالابصار اي الناظرة له اي يخطفها لشدة لمعانه وتلاليه فتكون قوة

البرق

البرق دليلا على تكاثف السحاب وبشيرا بقوة المطر ونذيرا بنزول الصواعق واعلم
ان البرق الذي صفته كذلك لابد وان يكون نارا عظيمة خالصة والنار ضد الماء والبرد
فظهوره يقتضي ظهور الضد من الضد وذلك لا يمكن الا بقدرة قادر حكيم ثم ذكر
تعالى ما هو ادل على الاختيار بقوله تعالى مترجما لما يشتمل على ما مضى وزيادة
يقلب الله اي الذي له الامر كله بتحويل الضيا ظلام والظلام ضيا والنقص
تارة والزيادة اخرى مع المطر تارة والصحو اخرى الليل والنهار فيتناوبان ذلك
التقليب من الحر والبرد والنمو والتنويع واليبس ما يبهر العقول ولهذا قال
منبها على النتيجة ان في ذلك الامر العظيم الذي ذكر من جميع ما تقدم لعبرة
اي دلالة على وجود الصانع القديم وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ مشيته
وتنزهه عن الحاجة وما يفضي اليها لاولي الابصار اي لاصحاب البصاير على
قدرة الله تعالى وتوحيده ولما استدل تعالى اولا باحوال السما والارض وثانيا
بالاثار العلوية استدل ثالثا باحوال الحيوانات بقوله والله اي الذي له
العلم الكامل والقدرة الشاملة خلق كل دابة اي حيوان من ما وقراه
حمزة والكسائي بالف بعد الخا وكسر اللام ورفع القاف وكسر لام كل والباقون
بكسر الخا واللام ولا الف بينهما ونصب لام كل فان قيل كثير من الحيوانات
لم يخلق من الماء كالملايكة خلقوا من النور وهم اعظم من الحيوانات عددا
وكذا الجن وهم مخلوقون من النار وخلق ادم من التراب كما قال تعالى خلقه من
تراب وخلق عيسى من الريح كما قال تعالى فنفخنا فيه من روحنا ونرى كثيرا
من الحيوانات يتولد لا من نطفة اجيب بوجوه احسنها ما قاله القفال
ان حاصله كل دابة وليس هو من صلة خلق والمعنى كل دابة متولدة من
الماء فهي مخلوقة لله تعالى ثانيها ان اصل جميع المخلوقات من الماء على ما روي
ان اول ما خلق الله جوهرة فنظر اليها بعين الهيبة فصارت ماء من سمر
ذلك الماء خلق النار والهوى والنور والمقصود من هذه الاية بيان
اصل الخلقة وكان اصل الخلقة الما فلهذا ذكره الله تعالى ثالثها المراد
من الدابة التي تدب على وجه الارض ومسكنها فتخرج الملايكة والجن
رابعها لما كان الغالب من هذه الحيوانات كونها مخلوقة من الماء اما لانها
متولدة من النطفة واما انها لا تعيش الا بالما اطلق عليها لفظ كل تنزيلا
للغالب منزلة الكل فان قيل لم نكر الما في قوله تعالى من ما وعرفه في كل شي
حي اجيب انه جا هنا منكرا لان المعنى خلق كل دابة من نوع من الما
مختص بتلك الدابة وعرفه بقوله تعالى من الما كل شي حي لان المقصود
هناك كونهم مخلوقين من هذا الجنس وههنا بيان ان ذلك الجنس ينقسم
الى انواع كثيرة فمنهم اي الدواب من يمشي على بطنه كالحية والحيتان
والديدان واستعير المشي للزحف على البطن كما قالوا في الامر المستمر

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)